مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

ماذا تكشف تصريحات بزشكيان وقاليباف ومجتبى خامنئي عن إيران بعد ستة أشهر من الحرب؟

د. هدى رؤوف

باحث مشارك

مركز الخليج للأبحاث

الآراء الواردة في هذا المقال تعبر عن رأي الكاتب وحده، ولا تعكس بالضرورة سياسة أو توجه مركز الخليج للأبحاث

اللافت في التصريحات الأخيرة للقيادات الإيرانية - المرشد الإيراني مجتبى خامنئي، والرئيس مسعود بزشكيان، ومحمد باقر قاليباف، رئيس مجلس الشورى الإيراني، ليس مضمون كل تصريح على حدة، بل **التباين في زاوية النظر إلى الأزمة**.

فقد تحدث بزشكيان بلغة الاقتصاد والدبلوماسية، أما قاليباف فبلغة الأمن والقدرة على الصمود، وخطاب مجتبى خامنئي امتلأ بلغة إدارة القوة والرسائل السياسية.

وهنا تكمن دلالة مهمة: بزشكيان يقر بأن الوضع الاقتصادي أصبح عامل ضغط حقيقيًا على الدولة، حيث تراجع التجارة الخارجية، والتضخم، والبطالة، وأزمة العملة والطاقة، كلها لم تعد ملفات اقتصادية منفصلة عن الحرب، بل أصبحت جزءًا من **معادلة الأمن القومي الإيراني**. ولهذا يدفع بزشكيان باتجاه إنهاء الحرب عبر التفاوض، ولكن من دون تقديم ذلك باعتباره استسلامًا.

فكرة بزشكيان الأساسية تبدو واضحة: **إذا كان لا بد من التفاوض، فمن الأفضل أن يحدث الآن، قبل أن تتحول الضغوط الاقتصادية والعسكرية إلى خسارة استراتيجية**، أي أن الدبلوماسية بالنسبة إليه ليست نقيضًا للمقاومة، بل محاولة لإنقاذ مكاسبها قبل أن يصبح ثمن الحرب أعلى من قدرتها على الاحتمال.

أما قاليباف فيمثل زاوية مختلفة، فخطابه لا ينكر الأزمة الاقتصادية، لكنه يرفض أن تتحول الأزمة إلى أساس لاتخاذ قرار استراتيجي. بالنسبة إليه، المشكلة ليست فقط **كيف ننهي الحرب؟** بل أيضًا **ماذا سيحدث للأمن القومي الإيراني إذا فُهم التفاوض باعتباره نتيجة للضغط؟** قاليباف يدرك أن القوة العسكرية وحدها لا تستطيع إدارة دولة تعاني من أزمة اقتصادية متفاقمة.

لكن التخلي السريع عن أوراق القوة الإيرانية قد يؤدي إلى نتيجة أخطر: تحويل الضغط الاقتصادي والعسكري إلى **تنازل سياسي دائم**. لذلك يبدو خطابه أقرب إلى البحث عن توازن بين التفاوض والحفاظ على أدوات الردع.

> **إذا كان لا بد من التفاوض فمن الأفضل أن يحدث الآن قبل أن تتحول الضغوط الاقتصادية والعسكرية إلى خسارة استراتيجية**

ثم يأتي مجتبى خامنئي برسالة مختلفة تمامًا، فهو لا يتحدث فقط عن الاقتصاد أو المفاوضات، بل عن **كيفية إدارة صورة الدولة أمام الداخل والخارج**.

وقد شدد في رسائله الأخيرة على ضرورة عدم تضخيم نقاط ضعف إيران علنًا، لأن كشف الضعف يمكن أن يرفع معنويات الخصم ويقلق أنصار النظام. لأن من وجهة نظره النظام الإيراني لا يخوض حربًا عسكرية فقط، إنه يخوض في الوقت نفسه **حربًا على الإدراك السياسي**، أي: هل تبدو إيران دولة محاصرة؟ أم دولة ما زالت قادرة على فرض كلفة على خصومها؟

هل التفاوض دليل ضعف؟ أم أداة لإعادة التموضع؟ هل الأزمة الاقتصادية تعكس فشلًا؟ أم اختبارًا يمكن تجاوزه؟

من هنا يمكن قراءة تصريحات الثلاثة باعتبارها **تقسيمًا وظيفيًا للأدوار داخل النظام** أكثر من كونها مجرد خلاف شخصي.

بزشكيان يتعامل مع سؤال: **كيف نمنع الاقتصاد من الانهيار؟** قاليباف يتعامل مع سؤال: **كيف نحافظ على الردع والأمن القومي؟** ومجتبى خامنئي يتعامل مع السؤال الأوسع: **كيف نحافظ على تماسك النظام وهيبته وقدرته على الاستمرار؟**

هذه التصريحات تكشف أن إيران بعد الحرب لم تعد تدير سياستها الإقليمية من موقع القوة نفسه الذي كانت عليه قبل الحرب.

فالحرب لم تستهدف القدرات العسكرية فقط، بل ضغطت على **القدرة الإيرانية على تمويل النفوذ، وإدارة الحلفاء، والحفاظ على شبكات الردع الإقليمية**.

وهنا يصبح الاقتصاد جزءًا من الجغرافيا السياسية، كل دولار تحتاجه إيران لإدارة أزمتها الداخلية هو دولار أقل يمكن توجيهه إلى شبكات النفوذ الخارجية. وكلما زادت الحاجة إلى تثبيت الداخل، أصبح من الأصعب الحفاظ على مستوى الإنفاق السياسي والأمني نفسه في العراق ولبنان واليمن وسوريا.

وهذه إحدى أخطر نتائج الحرب بالنسبة لطهران، لكن إيران لا تواجه فقط مشكلة الموارد، إنها تواجه **إعادة تشكيل البيئة الإقليمية حولها**. من ذلك التقارب التركي العراقي، على سبيل المثال، وتنامي قيمة «طريق

> **الحرب لم تستهدف القدرات العسكرية فقط بل ضغطت على القدرة الإيرانية على تمويل النفوذ وإدارة الحلفاء والحفاظ على شبكات الردع الإقليمية**

التنمية»، يفتحان مسارًا تجاريًا وأمنيًا يقلل نسبيًا من مركزية المسارات التي تعتمد على إيران. وهذا لا يعني خروج العراق من دائرة النفوذ الإيراني، لكنه يعني أن **البدائل الاستراتيجية أمام بغداد أصبحت أكبر**.

وهنا تتقاطع الأزمة الداخلية مع التحولات الإقليمية، حيث تحتاج إيران إلى تخفيض تكلفة الحرب، لكنها في الوقت نفسه لا تستطيع أن تبدو وكأنها تتراجع، لأن التراجع في الداخل قد يشجع الخصوم على اختبارها في الخارج. والتراجع في الخارج قد يضعف شرعية خطاب المقاومة في الداخل. ولهذا تبدو تصريحات مجتبى خامنئي مهمة عندما يطالب بعدم إظهار نقاط الضعف، فهو لا يتحدث فقط عن الإعلام، إنه يتحدث ضمنيًا عن **إدارة ميزان القوة نفسه**.

لكن المشكلة أن السردية لا تستطيع وحدها تعويض تراجع الموارد، إذا ارتفع التضخم وتراجعت التجارة وازدادت صعوبة توفير الطاقة والوقود، فإن الفجوة بين الخطاب والواقع تصبح أكبر، وهنا تظهر أهمية تصريحات بزشكيان.

على ما يبدو، يحاول بزشكيان تحويل الاعتراف بالأزمة إلى **مبرر للتفاوض**، مجتبى خامنئي يحاول منع الاعتراف بالأزمة من التحول إلى **صورة للهزيمة**، وقاليباف يحاول الحفاظ على المسافة بين الاثنين: التفاوض ممكن، لكن من موقع لا يسمح للخصم بتحويل الضغط إلى إملاءات.

إذن نحن أمام معادلة ثلاثية، بالنسبة ل**بزشكيان هي تخفيف الضغط، وقاليباف حماية الردع، ومجتبى خامنئي هي حماية النظام.**

ولا يمكن فهم السياسة الإيرانية الحالية من خلال أي عنصر منفرد. فالقرار النهائي هو نتيجة التفاعل بين هذه المستويات الثلاثة.

الأهم أن هذا لا يعني أن إيران قررت التخلي عن المواجهة، على العكس، ما يحدث أقرب إلى **إعادة حساب تكلفة المواجهة**.

فإيران تريد الحفاظ على أدواتها الاستراتيجية، لكنها تحتاج في الوقت نفسه إلى إعادة بناء قدرتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية. وهنا يصبح التفاوض أداة لإعادة التموضع، وليس بالضرورة نهاية للمواجهة.

> **نحن أمام معادلة ثلاثية بالنسبة لبزشكيان هي تخفيف الضغط وقاليباف حماية الردع ومجتبى خامنئي هي حماية النظام**

وهذا يقود إلى سؤال أكبر، **هل تستطيع إيران الانتقال من استراتيجية «توسيع النفوذ» إلى استراتيجية «الحفاظ على النفوذ»؟** فالتوسع يحتاج إلى موارد وفائض قوة، أما الحفاظ على النفوذ فيمكن أن يعتمد أكثر على الشبكات المحلية، والشركاء، والأدوات غير المباشرة، وتخفيض الكلفة.

إذا كانت إيران قد دخلت مرحلة «الحفاظ على النفوذ»، فإن العراق سيكون أحد أهم الاختبارات، فبغداد لن تخرج بالضرورة من المجال الإيراني، لكنها قد تصبح أكثر قدرة على **الموازنة بين طهران وأنقرة وواشنطن**، وهذا يعني أن النفوذ الإيراني قد لا يختفي، لكنه قد يتحول من نفوذ مهيمن إلى نفوذ تنافسي.

وهنا تحديدًا تصبح الحرب نقطة تحول، الخطر على إيران ليس أن تخسر حليفًا واحدًا، الخطر هو أن تتغير **بنية البيئة الإقليمية التي جعلت نفوذها ممكنًا بعد ٢٠٠٣**. إذا أصبحت الدول العربية أكثر قدرة على تنويع الشراكات، وأصبح العراق أكثر ارتباطًا بتركيا، وتراجعت قدرة طهران على تمويل شبكاتها، فإن النفوذ الإيراني سيواجه قيودًا لم تكن موجودة بالدرجة نفسها قبل الحرب.

لذلك فإن تصريحات بزشكيان وقاليباف ومجتبى خامنئي يمكن قراءتها باعتبارها ثلاث إجابات على أزمة واحدة، **بزشكيان** لا يمكن تجاهل تكلفة الحرب، بينما **قاليباف يعتبر أنه لا** يمكن إنهاء الحرب بطريقة تفقد إيران أدوات القوة، أما **مجتبى خامنئي** فلا يمكن السماح للخصم بتحويل نقاط الضعف إلى انهيار في صورة النظام وهيبته.

السؤال الأدق هنا: **ما مقدار القوة التي تستطيع إيران الاحتفاظ بها، وما مقدار التنازل الذي يمكنها تقديمه، من دون أن يتحول التفاوض إلى بداية لإعادة ترتيب إقليمي على حسابها؟**

وهنا تكمن المعركة الحقيقية، فهي ليست في ساحات القتال فقط، بل في الاقتصاد، والردع، والعراق، والخليج، والممرات التجارية، وشبكات الحلفاء، وقدرة الدولة الإيرانية على إقناع خصومها وحلفائها بأنها **ما زالت قادرة على دفع ثمن التصعيد، حتى وهي تبحث عن مخرج منه**، والأرجح أنها ستكون مرحلة **إعادة توضع إيراني تحت الضغط**.

> **الخطر على إيران ليس أن تخسر حليفًا واحدًا الخطر هو أن تتغير بنية البيئة الإقليمية التي جعلت نفوذها ممكنًا بعد ٢٠٠٣**

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567

Gulf Research Center Jeddah

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

ulf Research Center Foundation

venue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
:mail: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

4th Floor
Avenue de
Cortenbergh 89
1000 Brussels
Belgium
grcb@grc.net
+32 2 251 41 64

@Gulf_Research Gulfresearchcenter gulfresearchcenter gulfresearchcenter

www.grc.net

مركز الخليج للأبحاث